الكوكب المتلالى

شرح

قصيدة الغزالى

الاستاذ الجهبذ النحرير صاحب المكاشفات العارف بالله تعالى الشيخ عبد الغنى النابلسى قدس الله روحه . كانت ولادته فى الشام سنة ١٠٥٠ ووفاته فيها سنة ١١٤٣ . وهى تصيدة الامام الغزالى رحمه الله القريدة الغراء التى وجدت تحت وسادته عند موته المتضمنة على وصية ونصيحة لابناء جنسه وهى حرية بان تقتنى بالنفس والنفيس .

طابعها فى مطبعته ومصححها

وامق شكرى

صاحب مطبعة المتين

١٣٢٧

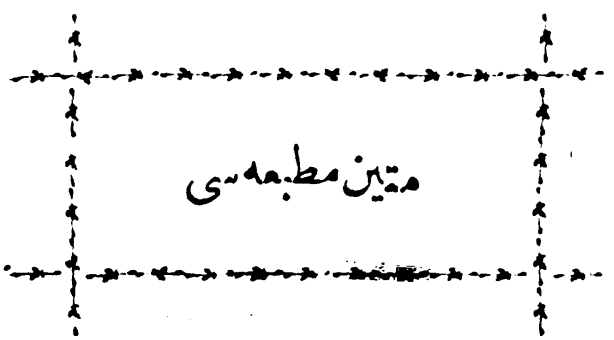
متین مطبعه‌سی

اعوذبالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله الذى خلق الموت والحياه واقام فى خدمته الملوك واسجد لعظمته الجباه والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذى خصه الله تعالى بالفضائل واجتباه وعلى آله واصحابه وتابعيه وانصاره واحزابه ومن والاه .

امابعد فيقول الفقير عبدالغنى ابن المرحوم شيخ الاسلام بركة الخاص والعام العلامة الرحلة الشيخ اسماعيل الشهير بابن النابلسى اخذالله بيده وامده بمدده وحرسه بعدده هذا شرح لطيف افرغته فى قالب التصنيف ورصفته بحسب الامكان اكمل ترصيف احل به ماتعقد من كلمات القصيدة النونية والجوهرة القريدة المضية المنسوبة الى الامام ابى حامد الغزالى حجة الاسلام عليه رحمة العليم العلام وقد طلب ذلك منى بعض الاصحاب ولم يمكنى

دفع سؤاله بغير الجواب وسميته (الكوكب المتلالى شرح قصيدة الغزالى) ومن الله تعالى استمد العناية واطلب منه التوفيق فى البداية والنهاية وهو حسبى ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

اما الامام الغزالى قدس الله تعالى روحه ونور ضريحه فهو محمد بن محمد الطوسى الامام ابو حامد الغزالى حجة الاسلام ومحجة الدين التى يتوصل بها الى دار السلام جامع اشتات العلوم المبرز فى المنطوق منها والمفهوم بحر ايس للبحر ماعنده من الجواهر وحبرسما على السمافاين للسما مثل ماله من الزواهر ترك الدنيا ورآء ظهره واقبل على الله تعالى يعامله فى سره وجهره ولد بطوس سنة خمسين واربعمائة وكان ابتداء طلبه للطريق بعدما حصل له ببغداد القبول التام والجاه عند الخاص والعام انه سافر فقطع عليه الطريق واخذ القطاع جميع مامعه فتبعهم وقال لمقدمهم بالذى ترجو السلامة منه رد على تعليقتى فقط فماهى بشئ ينفعكم فضحك وقال كيف تدعى انك عرفت علمها وقد اخذناها منك فتجردت من معرفتها وبقيت بلاعلم فانطقه الله تعالى لارشاده فاقبل على التجرد وساح ورآه بعضهم فى البرية وعليه مرقعة وبيده ركوة وعكاز

بعد ان رآه يحضر مجلسه ثلاث مائة مدرس ومائة من امرآء بغداد فقال يا امام اليس تدريس العلم اولى فنظر اليه شزرا وقال لما بزغ بدر السعادة فى فلك الارادة وجنحت شمس العقول الى مغرب الوصول

تركت هوى ليلى وسعدى بمعزل
وعدت الى مصحوب اول منزل
و ناديت فى الاسواق مهلاً فهذه
منازل من تهوى رويدك فانزل

وكان شديد الذكاء مفرط الادراك قوى الحافظة تضرب بكماله الامثال وتشد اليه الرحال حتى عزفت نفسه عن رذائل الدنيا فرفض مافيها من التقدم والجاه وترك ذلك ورآء ظهره واقبل على قدم الفقر والتجريد بعد الحج والتقديس ثم ذهب الى الشام فاقام بمنارة الجامع الاموى نحو عشر سنين فلما عرف فارقها ثم جال فى البلدان وزار المشاهد وأوى القفار وراض نفسه وجاهدها جهاد الابرار ثم عاد الى بغداد وتكلم على لسان اهل الحقيقة وقلبه معلق بما فتح عليه من الطريقة ثم رجع الى طوس واتخذ بجانب داره مدرسة للفقهآء وخانقاه للصوفية ووزع اوقاته على تلاوة القرآن ومجالسة ارباب القلوب وادامة الصيام والقيام حتى كان فى

جمادى الآخرة سنة خمس وخمس مائة توضاء وصلى وقال على بالكفن فاخذه وقبله ووضعه على عينيه وقال سمعاً وطاعةً للدخول على الملك ثم مد رجليه واستقبل القبلة فانتقل الى رضوان رحمة الله تعالى.

قيل ولما افتى القاضى عياض باحراق كتاب الاحيا بلغه فدعا عليه فمات وقت الدعوات فى حمام فجأة وقيل بل امر المهدى بقتله فى الحمام بعد ان ادعى عليه اهل بلده وزعموا انه يهودى لانه كان لايخرج يوم السبت لكونه كان يصنف كتاب الشفا .

واخرج اليافعى عن ابن الميلق عن ياقوت العرشى عن ابى العباس المرسى عن ابى الحسن الشاذلى ان الشيخ ابن حرازم خرج على اصحابه ومعه كتاب فقال اتعرفونه قالوا لاقال هذا الاحياء وكان الشيخ المذكور يطعن فى الغزالى وينهى عن قرأة الاحيا فكشف لهم المذكور عن جسمه فاذا هو مضروب بالسياط وقال اتانى الغزالى فى النوم ودعانى الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما وقفنا بين يديه قال يارسول الله هذا يزعم انى اقول عليك مالم تقل فامر بضربى فضربت. وروى ابن عطاء الله عن المرسى عن الشاذلى رضى الله عنهم انه قال من كان له الى الله حاجة

فليتوسل اليه بالغزالى. وقال العارف الشاذلى قدس الله روحه رأيت المصطفى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى النوم باهى موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام بالغزالى. وقال هل فى امتكما مثله قالا لا وشهد له المرسى بالصديقية العظمى.

ومن كلامه قدس الله روحه الدنيا مزرعة الآخرة وهى منزل من منازل الهدى وانما سميت دنيا لانها ادنى المنزلتين. وقال ربما وجد بعضهم فى نفسه انساً وتقريباً فى عبادته ومجلسه فظن ان بها يغفر لجميع من حضره فضلا عنه ولوانه تعالى عامله بما يستحقه على سوء ادبه فى ذلك لاهلكه ومن حوله. وقال انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنع تعالى عن ذلك بل لخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فانها كالاوانى مادامت مملوءة بالماء لايدخلها الهواء والقلب المشغول بغير الله لاندخله المعرفة بجلاله. وقال اشرف انواع العلوم العلم بالله وصفاته وافعاله وفيه كمال الانسان وفيه كمال سعادته وصلاحه بجوار حضرة ذى الجلال والكمال. وقال جلاء القلب وابصاره يحصل بالذكر ولايتمكن منه الا الذين اتقوا فالتقوى باب الذكر والذكر باب الكشف والكشف باب الفوز الاكبر. وقال الايمان ثلاث مراتب الاولى ايمان العوام وهو ايمان التقليد

المحض الثانية ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال الثالثة ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين . وقال مهما سمعت امراً غريباً من امور الدين جحده اهل الكياسة من سائر العلوم فلا يغرنك جحودهم عن قبوله اذ محال ان يظفر سالك طريق الشرق بما في الغرب . وقال مهما رأيت انساناً يسيء الظن بالناس طالباً للعيوب فاعلم انه خبيث في الباطن والمؤمن سليم الصدر في حق كافة الخلق. وقال من لم يكن له نصيب من علم الباطن اخاف عليه سوء الخاتمة وادنى النصيب منه التصديق به وتسليمه لاهله ومن كان فيه خصلتان لم يفتح له من هذا العلم بشيء بدعة او كبر . وقال من الذنوب ما يورث سوء الخاتمة وهو ادعاء الرجل الولاية مع فقدها منه. وقال من شرط من له حاجة ان لا يفطر ذلك النهار حتى تقضى ولو عند الغروب قال بعضهم وقد جربناه فصح لان الانسان اذا شبع فدعاؤه كسهم يخرج من غير وتر مشدود.

وللغزالي رحمه الله تعالى تصانيف عظيمة في غالب الفنون حتى في علم الحروف واسرار الروحانيات وخواص الاعداد ولطائف الاسماء الالهية وفي السيمياء وغيرها . وله دعاء عجيب جربه اهل العرفان عند حلول الفاقة وقد ذكره

فى الاحيـاء وهو اللهم يا غنى يا حميد يا مبدئ يا معيد يا رحيم يا ودود اغننى بحلالك عن حرامك وبطاعتك عن معصيتك وبفضلك عمن سواك. قال فمن ذكره بعد صلاة الجمعة وداوم عليه اغناه الله تعالى عن خلقه ورزقه من حيث لا يحتسب. وله قصيـدة جليلة ذكر فيها اسرار الفـاتحة وهى قوله

اذا ما كنت ملتمساً لرزق
ونيل القصد من عبدٍ وحر
وتظفر بالذى ترجو سريعاً
وتأمن من مخالفةٍ وغدر
ففاتحة الكتاب فان فيها
لما املت سراً اى سر
تلازم درسها عقبى عشاء
وفى صبح وفى ظهر وعصر
وعقبى مغرب فى كل ليل
الى التسـعين تتبعها بعشر
تنل ماشئت من عزٍ وجاهٍ
وعظم مهابةٍ وعلو قدر
وسـترٍ لا تغيره الليالى
بحادثة من النقصان تجرى

وتوفيق وافراح دواماً

وتأمن من مخاوف كل شر

ومن عرى وجوع وانقطاع

ومن بطش لذى نهى وامر

مات الامام الغزالى رحمه الله تعالى عن خمس وخمسين سنة قال النووى فى بستانه عن شيخه البلتينى «احصيت كتب الغزالى التى صنفها ووزعت على عمره فخص كل يوم اربعة كراريس ذكر هذا المناوى فى طبقات الاولياء. ثم قيل ان السبب فى نظم هذه القصيدة التى نريد شرحها ان الامام الغزالى رحمه الله تعالى لما احس بنزول الموت به قال لبعض اصحابه ائتنى بثوب جديد قال مالك به قال اريد ان ادخل على الملك فاتاه بثوب فطلع الى بيته فابطأ ولم ينزل فدخل صاحبه عندذلك عليه مع بعض تلامذته فوجدوه قدمات وعند رأسه مكتوب فى ورقة هذه الابيات وهى القصيدة المذكورة .

وفى شرح الجامع الصغير للشيخ عبدالرؤف المناوى رحمه الله تعالى قال وجد تحت وسادة حجة الاسلام الغزالى رحمه الله تعالى فى رقة مكتوب قوله:

قد كنت عبداً والهوى مالكى
فصرت حراً والهوى خادمى
وعدت بالعزلة مستأنساً
من شر اولاد بنى آدم
مافى اختلاط الناس خير ولا
ذوالجهل بالاشياء كالعالم
يالائمى فى تركهم جاهلاً
عذرى منقوش على خاتمى
فوجدوا نقش خاتمه وماوجدنا اكثرهم من عهد
وان وجدنا اكثرهم لفاسقين انتهى.
وانشدوا فيما يناسب ذلك قول بعضهم :
احسن الناس بالايمان عبد
خفيف الحاذ مسكنه القفار
له فى الليل حظ من صلاة
ومن صوم اذاطلع النهار
وقوت النفس يأتيها كفافاً
وكان له على ذاك اصطبار
وفيه عفة وبه خمول
اليه بالاصابع لايشار

فذلك قد نجا من كل شر
ولم تمسسه يوم البعث نار

قال الامام الغزالى رحمه الله تعالى فى اول قصيدة المذكورة

قل لاخوان رأونى ميتاً
فبكونى ورثوالى حزنا

اى قل ايها الصاحب المذكور فى اصل القصة لاخوانى فى الدين وتلا مذتى فى الدلالة على طريق اليقين وهم جمع اخ قال الجوهرى الاخ اصله بالتحريك اخو لانه جمع على اخاء مثل اباء والذاهب منه واو لانك تقول فى التثنية اخوان وبعض العرب يقول اخان على النقص ويجمع ايضا على اخوان مثل حزب وحزبان وعلى اخوة واخوة واكثر مايستعمل الاخوان فى الاصدقاء والاخوة فى الولادة وقد جمع بالواو والنون قال الشاعر:

وكان بنو افزارة شر قوم
وكنت لهم كشر بنى الاخينا

وقال الجوهرى ايضا الموت ضد الحياة وقد مات يموت ويمات فهو ميت وميت يعنى بالتشديد والتخفيف وقوم موتى واموات وميتون مشدداً ومخففاً واصل ميت ميوت

على فيعل ثم ادغم ثم يخفف فيقال ميت قال الشاعر وقد جمعها فى بيت :

ليس من مات فاستراح بميت
انما الميت ميت الاحياء

ويستوى فيه المذكر والمؤنث قال تعالى لنحيي به بلدة ميتا ولم يقل ميتة قال الفراء يقال لمن لم يمت انه مايت عن قليل وميت ولا يقولون لمن مات هذا مايت وقال الجوهرى ايضا البكا ممدود ومقصور فاذا مددت اردت الصوت الذى يخرج مع البكاء واذا اقصرت اردت الدموع وخروجها قال الشاعر:

بكت عينى وحق لها بكاها
وما يغنى البكاء ولا العويل

وبكيته وبكيت عليه بمعنى قال الاصمعى بكيت الرجل وبكيته كلاهما اذا بكيت عليه وقال ابن فارس فى المجمل رثيت لفلان اذا رقيت له ورثى للميت بالشعر وربما قالوا رثاه بالشعر واصحابنا يعدونه من اغلاط البصريين والحزن بالتحريك لغة فى الحزن بالسكون وهو الغم والكرب .

اتظنون بانى ميتكم

ليس ذاك الميت والله انا

الهمزة للاستفهام الانكارى اى لاتظنوا ذلك كقوله تعالى اتدعون بعلا وتذرون احسن الخالقين اى لاتدعوا ذلك واضافة الميت اليهم لانه بين ايديهم والقسم على كونه ليس هو ذلك الميت صدق لانه ماهو الجسم ليكون هو ذلك الميت وانما هو النفس الانسانية التى كانت متعلقة بالجسم ثم بموت الجسم انفصل ذلك التعلق فلم تتصف تلك النفس بالموت وانما اتصفت بذوقه باعتبار العلاقة الجسمانية التى كانت قال تعالى كل نفس ذائقة الموت والذائق للشئ لابد ان يكون موصوفاً بالحياة فى حالة ذوقه لذلك الشئ والالما كان ذوقاً اصلاً واختلف فى كون الموت امراً وجودياً اوهو عدم الحياة قال شيخى زاده فى حاشية البيضاوى واستدل على كون الموت امراً وجودياً بقوله تعالى خلق الموت فان الخلق هو الايجاد والايجاد لايتعلق بالامر العدمى واجيب بان المراد من الخلق هو التقدير والامور كلها وجودية كانت اوعدمية مقدرة فى الازل وبان المراد بخلق الموت احداث اتصاف الحى به بعد مالم يكن وذلك لايقتضى كون الصفة امراً وجودياً وقال

الشيخ الاكبر محى الدين ابن العربي قدس الله سره في الفتوحات المكية في الباب الثامن والخمسين وخمس مائة ليس الموت بازالة الحياة في نفس الامر عند اهل الكشف ولكن الموت عزل وال وتولية وال لانه لايمكن ان يبقى العالم بلا وال يحفظ عليه مصالحه لئلا يفسد فاستناد الموت اذا كان عبارة عن الانتقال والعزل يستند الى حقيقة الآلهية وليس الافراغ الحق من شئ الى شئ آخر فماله فيما فرغ منه من حكم ذلك المفروغ منه وليس الا ايجاد عينه خاصة ومابقي الشغل وعدم الفراغ الا في ايجاد مابه بقاؤه في الوجود فالى هذه الحقيقة الآلهية يستند الموت في العالم الاترى الى الميت يسئل ويجيب ايماناً وكشفاً وانت يامحجوب تحكم عليه في هذه الحال عينا انه ميت وكذا جاء ان الميت يسئل في قبره وماازال عنه اسم الموت السؤال فان الانتقال موجود فلولا انه حي في حال موته ماسئل فليس الموت بضد للحياة ان عقلت .

ثم قال بعد ذلك الموت عبارة عن الانتقال من منزل الدنيا الى منزل الاخرة ماهو عبارة عن ازالة الحياة منه في نفس الامر وانما الله قد اخذ بابصارنا فلاتدرك حياته وقد ورد النص في الشهداء في سبيل الله انهم احياء يرزقون

ونهانا ان نقول فيهم اموات فالميت عندنا منتقل وحياته باقية عليه لاتزول وانما يزول الوالى وهوالروح عن هذا الملك الذى وكله الله بتدبيره ايام ولايته عليه والميت عندنا يعلم من نفسه انه حى وانما تحكم عليه بانه ليس بحى جهلاً منك ووقوفاً مع بصرك ومع حكمك فى حاله قبل اتصافه بالموت من حركة ونطق وتصرف وقداصبح متصرفاً وهو تنبيه من الله تعالى لنا إن الامر كذا هو التصرف فيه للحق لالك فى حال دعواك التصرف ثم انه على الحقيقة متصرف هذا الميت بالحال لابالقول ولولا تصرفه فيك وهو تصرفه فيمن شرع لك هذا فهذا تصرف فى الاحياء وهم لايشعرون وتصرف فيك وانت لاتشعر وتخيلت انه مابقى له فيك حكم وحكمه بموته اعظم من حكمه فيك بحياته اعنى بعد موته فالموت انتقال خاص على وجه مخصوص فمن كونه انتقالاً لايستند الى حقيقة الهية خاصة وتمامه هناك والله اعلم واحكم .

انا فى الصور وهذا جسدى

كان بيتى وقميصى زمنا

يعنى، انا الآن بعد موتى كائن فى الصور اى صور اسرافيل عليه السلام وهو اما قرن من اعلاه ضيق على مقدار فم اسرافيل عليه السلام يعنى مقدارا واحداً لا من حيث انه صغير او كبير لان الصغير والكبير من خواص الاجسام واسرافيل ملك روحانى لا يوصف بمقتضى صفات الاجسام الطبيعية العنصرية وادناه واسع يعنى مقادير كثيرة بعدد الخلائق كلهم فاذا خرجت الروح من الجسد كان لها محل فى ذلك الصور تكون فيه حتى تنفخ فى ذلك الجسد يوم القيامة كما كانت واما ان الصور جمع صورة والميت بعد مفارقته الجسد الترابى العنصرى له صورة روحانية يكون فيها حتى ينفخ فيه فيرجع الى جسده الاول العنصرى قال شيخى زاده فى حاشية البيضاوى والنفخ فى الصور اما بمعنى نفخ الارواح فى اجساد الاموات فيكون الصور جمع صورة نحو سيرة وسير واما بمعنى نفخ اسرافيل فى القرن والصور حينئذ مفرد معناه القرن الذى ينفخ فيه للبعث

انتهى كلامه. وفى الفتوحات المكية للشيخ الاكبر قدس سه
فى الرابع والثمانين والمأتين واعلم ان الروح الانسانى اوجده
الله تعالى حين اوجده مدبراً لصورة طبيعية حسية له
سواء كان فى الدنيا اوفى البرزخ اوفى الدار الاخرة اوحيث
كان فأول صورة لبسها الصورة الجسمانية الدنيوية وحبس
بها فى رابع شهر من تكوين صورة جسده فى بطن امه الى
ساعة موته فاذا مات حشر الى صورة اخرى من حين
موته الى وقت سؤاله فاذا جآء وقت سؤاله حشر من
تلك الصورة الى جسده الميت فيحيي به ويؤخذ عن ابصار
الناس واسماعهم عن حياته بذلك الروح الا من خصه الله
تعالى بالكشف على ذلك من نبى اوولى من الثقلين واما
سائر الحيوانات فانهم يشاهدون ذلك عيناً وسماعاً ثم يحشر
بعد السؤال الى صورة اخرى فى البرزخ يمسك فيها الى
نفخة البعث فيبعث من تلك الصورة ويحشر الى الصورة
التى كان فارقها فى الدنيا ان كان بقى عليه سؤال فان لم يكن من
اهل ذلك الصنف حشر فى الصورة التى يدخل بها
الجنة اوالنار والمسئول يوم القيامة اذا فرغ من سؤاله حشر
فى الصورة التى يدخل بها الجنة اوالنار واهل الجنة كلهم
مسئولون فاذا دخلوا واستقروا فيها ثم دعوا الى الرؤية

وبادروا حشروا فى صورة لاتصلح الا للرؤية فاذا عادوا حشروا فى صورة تصلح للجنة وفى كل صورة ينسى صورته التى كان عليها ويرجع حكمه حكم الصورة التى انتقل اليها وحشر فيها فاذا دخل سوق الجنة ورأى مافيه من الصور فاى صورة رآها واستحسنها حشر فيها فلا يزال فى الجنة دائما يحشر فى صورة الى صورة الى مالا نهاية له ليعلم بذلك الاتساع الالهى فكما لاتتكرر عليه صورة التجلى كذلك يحتاج هذا المتجلى اليه ان يقابل كل صورة تجلى له بصورة اخرى تنتقل اليه فى تجليه فلا يزال يحشر فى الصور دائما يأخذها من سوق الجنة ولا يقبل من تلك الصور التى فى السوق ولا يستحسن منها الا ماينا سب صورة التجلى التى تكون له فى المستقبل لان تلك الصورة هى كالاستعداد الخاص لذلك التجلى . فاعلم هذا فانه من لباب المعرفة الالهية ولو تفطنت لعرفت انك الان تحشر فى كل نفس فى صورة الحال التى انت عليها ولكن يحجبك عن ذلك رؤيتك المعهودة وما كنت تحس بانتقالك فى احوالك التى عنها يتصرف ظاهرك وباطنك ولكن لاتعلم انها صورة لروحك تدخل فيها فى كل آن وتحشر فيها ويبصرها العارفون صوراً صحيحةً ثابتةً ظاهرة العين انتهى . فعلى هذا يكون قوله انا

فى الصور اى صور اسرافيل عليه السلام اى اما فى عالم التطور فى الصور المختلفة كما ذكر فالصور جمع صورة فهى حاصلة من روحانية اسرافيل عليه السلام كما ان الخيال الباطنى وهو الصورة الباطنة من روحانية جبريل عليه السلام والحالة البرزخية بين الروحانية والجسمانية والحسية والخيالية من روحانية ميكائيل عليه السلام وهى النفس الانسانية والصورة البشرية الحيوانية واما الحالة الوهمية الباطنية فهى من روحانية عزرائيل عليه السلام وبالوهم يقع قبضه للارواح بطريق الاستيلاء ومن كان فى التطور بالصور المذكورة كان فى قرن من النور اعلاه ضيق واسفله واسع وسماه الله تعالى الناقور من النقر على وجه المبالغته فهو تطور فى الصور المختلفة بطريق الازعاج والاقلاق والايلام وذلك بالنسبة الى الكافرين كما قال تعالى فاذا نقر فى الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير اى على الساترين للحق باستيلاء الوهم على انفسهم فى الموت الطبيعى فهو صور فى حق المؤمنين وناقور فى حق الكافرين .

وقوله «هذا جسدى» اشار الى الصورة الجسمانية التى خلعها بالموت ودخل فى صورة غيرها من الصور المذكورة كان اى جسدى فى الحياة الدنيوية بيتى الذى